الدعوة إلى إحياء العربية والدفاع عنها ـ دراسة في نماذج من الشعر العربي المعاصر

د. النوراني عبد الكريم كبور جبير

تمهيد: بين العامية والفصحى

إن الدعوة إلى إحياء اللغة العربية، والدفاع عنها، ومناقشة قضاياها يعدُّ مشروعا رائدا لإعادة تصحيح أوضاعها؛ لتعود ناصعة كما كانت، لتؤدي دورها الرسالي كلغة دين، وثقافة، وفكر، وعلم، وحضارة، وأدب، وكلغة عالمية مرنة قادرة على المواكبة، والعطاء.

واللغة العربية اليوم تعاني ضعفا، ووهنا على وهن، تحدق بها جحافل العامية التي باتت مهددا عظيم الخطر، ووجود العامية إلى جانب الفصحى ظاهرة عالمية في كل لغات العالم (١)، ولكن لكل منها نطاق في الاستخدام، مع الأخذ في الاعتبار أن العامية لا تصلح لغة لفكر، أوعلم؛ فالعامية تحدّ من مقدرة الفكر على الانتشار، لأنها عاجزة عن أداء الأفكار العالية، وهي تقوم على الفوضى، وعلى التحلل من الضوابط، والقواعد، والقوانين اللغوية، ولا تعتمد معيارا يمكن الأمساك به، أوالتحاكم إليه، وعليه لا يمكن الاعتماد عليها في مخاطبة عقل واعٍ، أوفكر مستنير، وأوشعور ذكي.

ومن عوامل التمكينً للعامية وانتشارها؛ الصراع اللغوي الحاد بين دعاة العامية ومن يقف وراءهم، وبين المتمسكين بها على شفا (٢). والدعوة إلى العامية، والمناداة بها، وإقصاء الفصحى، أوكتابتها بالأحرف اللاتينية هي دعوة منزوعة اللباس، تبدوسوءات حاملي لوائها للعيان، ولن يجديهم ما خصفوه على أنفسهم من ورق المبررات الذاوية المهشومة؛ فالهدف ليس تسهيل اللغة العربية، بل تفتيت الأمة، وإضعافها، ومسخ هويتها، والحد من الامتداد العربي وحضارته، وريادته، وحجب ثمار فكره، وضرب العمق العربي، وتقزيم دوره في الساحة العالمية. وقد ساق دعاة العامية مسوّغات هي أوهى من خيوط العنكبوت؛ سعوا من خلالها إلى إحلال العامية محل الفصحى في كل نواحي الحياة، مقارنين بينها وبين الفصيحة مقارنة لا ترقى إلى أي درجة (٣)؛ فما هي إلا حرب لتدمير اللغة في عصر " صدام الحضارات " للقضاء على الإرث الحضاري للأمة، وتغييبها عن ميادين الفكر.

ومن الأمور المخجلة، والصادمة؛ أن هذه الدعوة انخرط فيها شرذمة من أبناء العربية، وهي فئة مثقفة، ومستنيرة، فكيف غاب عن وعيها أن من يتعاطى العامية لا يقوى على القراءة والكتابة، ويعجز عن الفهم، ولن يستوعب الفصحى في كافة استعمالاتها، وهذه العامية تفتقر إلى المصطلحات العلمية، وعاجزة عن مواكبة العلم والتطور، والتكنلوجيا (٤).

ونحن نرفض أي دعوة لإعادة تشكيل اللغة العربية من واقع الإحلال التدريجي للعاميات، واللهجات المحلية؛ فالتوهان في اللهجات المحلية يؤدي ـ بالضرورة ـ إلى غربة اللغة الفصيحة، ومن ثم غربة الدين، والإرث.

وقد دعا المستشرقون أمثال: لويس ماسينيون، وبنيار الفرنسيان ـ إلى هجر اللغة العربية الفصيحة، وكتابتها بالأحرف اللاتينية (٥)، ودعا المستشرق وليام ولكوكس إلى إحلال العامية مكان الفصحى، وانحدر خلفه في هذه الدعوة المستشرق بارتون ويلمور(٦)، وشارك في هذه الدعوات المنكرة مجموعة من العرب المتأثرين بأفكار الغرب التي تدعوإلى العامية، وعلى رأسهم؛ قاسم أمين الذي نادى عام ١٩١٢م بترك الإعراب إلى تسكين أواخر الكلمات، ولطفي السيد، الذي دعا عام ١٩١٣م إلى مزج العامية بالفصحى، وأنيس فريحة، والخوري مأمون غصن الذين نادا بكتابة العربية بالأحرف اللاتينية (٧)، وعبد العزيز فهمي ـ عضومجمع اللغة العربية ـ الذي قدّم مشروعا معيبا عام ١٩٤٤م طالب فيه بإعادة كتابة العربية بالأحرف اللاتينية تحت ستار ما أسماه "تيسير كتابة اللغة العربية" (٨).

وقد دافع عن اللغة العربية نفر كريم من أبناء هذه الأمة، وبعض المستشرقين. ومن أبناء الأمة؛ مصطفى صادق الرافعي الذي عارض دعوة لطفي السيد حول إحلال العامية محل الفصحى(٩)، وعمر فروخ الذي رد على دعاة العامية مؤكدا حيوية اللغة العربية، وتفوقها، وأثرها في وحدة العرب وتلاحمهم (١٠)، وصالحاني علي الذي ردّ على الخوري مارون، وأبطل دعوته المنكرة إلى كتابة العربية بالأحرف اللاتينية (١١). ومن المستشرقين؛ يوهان فك(١٨٩٤-١٩٧٤م) الذي أكد على عظمة العربية، وعظمة إرثها الحضاري(١٢)، والمستشرق جون جيلي مايبه (١٩٦٥-١٩٣١م) الذي يؤكد أن العربية انتشرت في كل لغات أوربا، يقول: " لم يبق لغة أوربية واحدة لم يصلها شيء من اللسان العربي " (١٣)، وكارل بروكلمان (١٨٦٨-١٩٥٦م) الذي أفاض في بيان فضل القرآن على اللغة العربية، وكيف أسهمت هذه الغة في الوحدة العربية، وأبان مكانتها الرفيعة بين لغات العالم (١٤).

وظهرت دراسات ذات قيمة، تعطي العربية مكانتها الريادية، وتدفع عنها الافتراءات في هذا الطوفان الهائج، منها؛ دراسة أنور الجندي "الفصحى لغة القرآن"(١٥) وفيها يبين فضل اللغة العربية، ودراسة مجدي البرازي "مشكلات اللغة العربية المعاصرة"(١٦) التي أوضح فيها مميزات، وفضائل اللغة العربية، ودراسة محمود تيمور "مشكلات اللغة العربية" وناقش فيها العلاقة بين العامية والفصحى، رافضا فكرة المزج بينهما، داعيا إلى الحفاظ على العربية نقية من الشوائب (١٧).

والعامية لا تجد بيئة صالحة للنموالا حين تتفكك المجتمعات، وتتشرذم الأمم، وتنغلق على ذاتها في لهجات محلية، وتنقطع صلاتها الفكرية، والثقافية، وهذه الحالة وصفها الأفغاني بقوله:" هذا هو منشأ اللغات العانية، تجلي أعراضا مرضية لا تعرفها الأمة في صحتها وقوتها، ووحدتها"(١٨).

على علماء العرب وضع الأسس التي تكفل للعربية النهوض من كبواتها، والعودة بها إلى موقعها الريادي في العالم، وقيادة الفكر العربي من جديد؛ فالعولمة التي نسير تحت لوائها يجب أن لا تفقدنا زمام المبادرة، وتجبرنا على خلع عباءة تراثنا اللغوي، وتجاهل لغتنا الكريمة لنسير في ركابها مسلوبي الإرادة.واللغة العربية لغة غنيّة، خصبة، وحيوية،ومرنة،وهي تعكس التكوين النفسي للعرب؛ فهي عنوان الهوية، ورمز الوحدة، ولسان الحضارة العربية الإنسانية الزاخرة عبر تاريخها الناصع.

وقد ظل الشعر العربي يعبّر عن الإنسان، وحاجاته منذ قديم الزمان؛ فهوديوان العرب، وسجل حياتهم، وواكبت الدعوة الإسلامية في أخطر مراحلها، ووقف يحامي عن صاحب الدعوة، ويذود عن حياض الدين. والشعر الحديث لم يتخل عن دوره في طرح، ومناقشة القضايا التي تهم المجتمعات المعاصرة. وانطلاقا من هذا الدور الريادي فإن الشعر العربي المعاصر يعيد قضية اللغة العربية إلى واجهة الأحداث، ويعرض أزمتها عرضا وافيا، ويناقشها نقاشا علميا مستفيضا، ويضع الحلول المناسبة.

ودولة دبي إذ تعقد هذا الملتقى الدولي للغة العربية إنما تفعل حسنا، وهي خطوة كبيرة في الاتجاه الصحيح لإنقاذ اللغة، وستتبعها خطوات أخرى - إن شاء الله - حتى تعيد للغتنا الحبيبة سيرتها الظافرة، وتكفل لها أسباب النمو، والارتقاء.

المبحث الأول: أزمة اللغة العربية وعوامل ضعفها

تناول الشعر العربي المعاصر ازمة اللغة العربية، والعوامل التي أدت إلى إضعافها، وانحسارها، وذلك من خلال هذه المحاور.

١ / عجز اللغة عن مواكبة العصر:

من أخطر ما واجهت العربية في عصرنا الحاضر؛ رميها بالجمود، والفقر، وعدم مقدرتها على مواكبة العصر ومستجداته، وأنها لغة غير متطورة، وعاجزة عن التعبير عن حاجات الإنسان المعاصر، وقد صوّر ذلك حافظ إبراهيم(١٩):

رموني بعقم في الشباب وليتني
عقمت ولم أجزع لقول عداتي

اللغة العربية لغة في رأد الشباب، وقادرة على العطاء؛ فإذا كانت - ولله الحمد والمنة - قد عبّرت عن كتاب الله العزيز بكل ما يحويه من السور المعجزة، والآيات المبهرة البلاغة؛ فكيف تعجز عن التعبير عن الحضارة الإنسانية، ومصطلحاتها، ومسميات مخترعاتها الحديثة، يقول حافظ (٢٠):

وسعت كتاب الله لفظا وغاية
وما ضقت عن آي به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة
وتنسيق أسماء لمخترعات

هذه اللغة العريقة عادرة على كواكبة العصر؛ بما حباها الله من الخصائص، والمميزات مثل: الاشتقاق، والتوليد، والتصريف، والإعراب، وسعة الدلالات، وكثرة المترادفات؛ فلغة لها مثل هذه المقومات لا يمكن أن تندثر، والنوع البشري لولا خاصية التوالد لفني منذ أمد بعيد، وكذا اللغة العربية؛ كالكائن الحي، قابل للتطور، والتوليد مع الاحتفاظ بالنوع وخصائصة، يقول حافظ(٢١):

ولدت ولما لم أجد لعرائسي
وجال أكفاء وأدت بناتي

فهذه اللغة ـ بلا مراء ـ لغة حية، تسع الفكر البشري، والحياة الإنسانية في شتى مناحيها، ومن ثم فهي قادرة على استيعاب الحضارة، ومواكبة التحديث؛ فاللغة الاصطلاحية لمسميات المخترعات، والآلات، والعلوم الحديثة ليست بمعضلة أمام لغة "هي أتم الألسنة بيانا، وتمييزا للمعاني جمعا، وفرقا..." (٢٢)، لغة واكبت الفتح الإسلامي في أصقاع الأرض(٢٣)، وأقبل عليها الأمم؛ يتعلمونها ـ وهم أهل علم وحضارة ـ ولولا مقدرتها على أداء أفكارهم، وحاجاتهم لما تهافتوا عليها.

ولغتنا العربية كانت ولازالت حبلى بالمعاني، والاشتقاقات، وما تفتأ تنفح العالم بضروب من الفنون الإبداعية، والألفاظ، والمصطلحات؛ فهي لغة بكر، وتربة خصبة، يقول حافظ(٢٤):

أنا البحر في أحشائه الدرّ كامن
فهل سألوا الغوّاص عن صدفاتي

البحر رمز العطاء الوفير، ومكمن الدرر واللآلئ، ومصدر الحياة والنماء، وهذا هوحال لغتنا العربية؛ ضروب من الفنون الأدبية، والعلمية، وأنماط من الأساليب، وفيض من الألفاظ، والاشتقاقات، والقواعد والمعايير التي تحوطها، وتحفظها، ويسهّل لمن شاء تعلُّمها. وبحر اللغة قادر على مدّ العصر وحضارته بما يناسبه، وبما يعبّر عنه. وهذه دعوة صريحة من لاكتشاف عظمة هذه اللغة، وسبر أغوارها للوقوف على مرونتها، وفيض عطائها.

والأدهى والأمَر في هذه القضية أن بعض أبناء هذه اللغة رسخ عندهم ما يروّج له أعداؤها من أنها جامدة؛ لا تواكب الحضارة والتحديث، خاصة فيما يتعلق بالمصطلحات الأجنبية وما يقابلها بالعربية؛ فزعم الذين عملوا في الترجمة أنها غير وافية بمتطلبات العلم الحديث، والحياة المعاصرة، وهذه معضلة مصطنعة بلورتها المؤامرة ضد اللغة العربية، يقول علي الجارم(٢٥):

والمحدثات تسدُّ الشمس كثرتها
ولم تفز باسم ولا لقب
والترجمات تشن الحرب لاقحة
على الفصيح فيا للويل والحرب
نطير للفظ نستجديه من بلد
ناء وأمثاله منّا على كثب
كمهرق الماء في صحراء حين بدا
لعينيه بارق من عارض كذب

يقول الألوسي: "وأمّا ما ذكر من أن مفردات العربية غير تامة بالنظر إلى ما استحدث بعد العرب من الفنون، والصنائع مما لم لم يخطر ببال الأولين فهوغير شين على العربية. إذ لا يسوغ لواضع اللغة أن يضع أسماء لمسميات غير موجودة، وإنما الشين علينا الآن في أن نستعير هذه الأسماء من اللغات الأجنبية مع قدرتنا على صوغها من لغتنا "(٢٦)، ولكن هذه اللغة حوربت بسيوف أبنائها، وأعدائها.

ورمْي العربية بالعجز عن مواكبة العصر لهي دعوة ساذجة من نفوس مريضة، أعماها الحقد، والعنصرية، والتعنُّت تحت ستار التجديد، والتيسير، ولكنه تجديد فارغ، لا يقوم على الحق، يقول عبد الله عبد الرحمن(٢٧):

وقالوا لقد ضاقت عن العصر حاجها
وفي وجهها باب الثقافة يُوصد
وقالوا: بأنّا أنجبتنا معاهد
وأوحت إلينا: يا بني العصر جدّدوا

أبناء العربية الذين درسوا في المعاهد الأجنبية عاد بعضهم يحمل حقدا، وموغر الصدر على لغة أمته، وعقيدته، وإرثه، وتاريخه، مدّعيا أنها لا تفي بحاجة العصر، وثقافته، متشدقين بلغات المعاهد التي زيّنت لهم هذا المسلك المشين، ولكن الشاعر يردّ عليهم ساخرا مستنكرا(٢٨):

وما هوتجديد فنكبر أمره
ولكن دعاوى منهمووتزيّد
وهل ينبغي التجديد إلا لعالم
له في علوم الضاد رأي مسدد
قضى زمانا في الدرس جاهدا
فأذعنت الفصحى لمن هومورد

العلماء الضالعون هم الذين يقع على عواتقهم التجديد؛ فهم يعرفون أسرار اللغة، وتاريخها، وقيمتها، وما يجب أن تكون عليه، وللتجديد دواعٍ، وسبُل غير ما تنكب عنها هؤلاء المتعلمون.

٢ / الدعوة إلى العامية:

ولعل ثالثة الأثافي في محنة هذه اللغة؛هي العمل على إحلال العامية محلها؛ فالدعوة إلى العامية لقيتْ رواجا بين أبناء

العربية، وهم يجهلون ما تجر ذلك عليهم من هدم اللغة الفصيحة، ومن ثم يقعون فيما لا مناص منه؛ وهوالتحزّب، والفرقة، والشتات، ثم الضياع، يقول حافظ (٢٩):

أيطربكم من جانب الغرب ناعب
ينادي بوأدي في ربيع حياتي
ولوتزجرزن الطير يوما علمتم
بما تحته من عثرة وشتات

الاستفهام يحمل معنى الإنكار على الاستجابة، والتعاطي مع مثل هذه الدعوات الهدّامة، مع أنهم لواستطلعوا الغيب لعرفوا ما تنطوي عليها من المؤامرات الدنيئة التي تهدف إلى إضعافهم، وسلبهم إرادتهم؛ فالأزمة الحقيقية التي تعيشها اللغة اليوم هي الدعوة إلى محاربتها بسلاح العامية،والمناداة باستعمالها في الإبداع الأدبي بشتى أنواعه، وهي دعوة نجد لها صدى واسعا في مصر، وتولّى كبرها فيها عدد من الأدباء، كما نجد لها صدى في لبنان، وبلاد المغرب (٣٠).وهذه أزمة حقيقية تحتاج إلى تدخل السلطات الرسمية في كل البلاد العربية لاتخاذ القرارات التي من شأنها إعادة الفصحى إلى وصعها الطبيعي، والاستعانة بذوي الاختصاص في سن التشريعات في هذا الصدد، يقول حافظ(٣١):

وأسمع للكتاب في مصر ضجّة
فأعلم أن الصائحين نعاتي

الضجّة؛ إشارة إلى ما أثارته الدعوة إلى العامية، والفوضى اللغوية من لغط واختلاف. ولكن ـ على كل حال ـ فقد أيقنت اللغة العربية بالهلاك.

٣ / أثر العامية في الفصحى:

العامية من الأدواء التي فتكت بلغتنا الحبيبة، وأحالته إلى حالة من الضعف، فانحدرت إلى الحضيض على الألسنة، وبلغ بها مستخدموها أسوأ دركات الإهمال، والتحلل من قواعدها، والجهل بقدسيتها، وحرمتها، وما زالت تعيث فيه فسادا وإفسادا، بعد أن كانت عزيزة على أبنائها، معصومة مصونة عن كل ما يشينها، ويقول الجارم(٣٢):

ولم تزل في حمى الإسلام في كنف
سهل وفي عزّه في منزل خصب
حتى رمتها الليالي في فرائدها
وخرّ سلطانها ينهار من صبب
وعاثت العجمة الحمقاء ثائرة
على ابنة البيد في جيش من الرهب
يقوده كل ولاّغ أخي إحن
مضمّخ بدماء العرب مختضب
لم يبق فيها بناء غير منتقض
من الفصيح وشملا غير منقضب
كأن عدنان لم تملأ بدائعه
مسامع الكون من ناء ومقترب
مضت بخير كنوز الأرض جائحة
وغابت اللغة الفصحى مع الغيب

لقد تضعضع سلطان الفصحى بسبب انتشار العامية التي عاثت فيها، وجاست خلالها؛ هذه العامية التي جاءت من دعوات الحاقدين على العروبة، والإسلام، واستجابة الأغبياء من أبناء العربية؛ فحال اللغة اليوم؛ هوالانهيار، والتشوّه، والضعف، وأهلها قيام ينظرون وكأن الأمر ليس أمرهم، وهذا لهوالخزي والعار؛ فكأنهم لم يسمعوا قول المتنبي(٣٣):

ولم أر في عيوب الناس شيئا
كنقص القادرين على التمام

وقد باتت العامية ـ الساقطة ـ تمثل تحدّيا كبيرا للغة العربية؛ فانتشرت في كل مكان؛ فنُطقتْ بعض الكلمات بغير مخارج حروفها، وأُهمل الإعراب، والقواعد الصرفية إهمالا تامّا، فانطلقت الاشتقاقات الشيطانية من عقالها بغير ضابط، وانهالت الألفاظ المشوّهة، والتراكيب الفاسدة، وخضعت كثير من الألفاظ للنحت المريع، والدمج غير اللائق، والنطق السقيم لمفردات اللغة؛ فأصبحت العربية الفصيحة تحمل كل هذه الشوائب، والأدران، والعوالق، وباتت مريضة بهذه الطواعين؛ بعد أن كانت أصحّ اللغات وأشرفها، ولسان قوم أحاطوها بالعناية، والحب العجيب، يقول حافظ(٣٤):

سرت لوثة الإفرنج فيها كما سرى
لعاب الأفاعي في مسيل فرات
فجاءت كثوب ضمّ سبعين رقعة
مشكّلة الألوان مختلفات

هذا هوحال اللغة بعد أن تسورتْ عليها العامية المحراب؛ فصارت كالثوب البالي، به العديد من الرقع الملوّنة من فتات أقمشة شتى ليست من نوعها؛ فبدتْ واهية مشوّهة.

٤ / الإعراض عن العربية:

هجر كثير من أبناء العربية تعلُّم لغتهم، وتعالوا عليها؛ وهي كارثة أخرى وانتكاسة كبيرة، وجامعاتنا تقف شاهدة على هذا الإعراض؛ فلم يعد الطلاب يقبلون على تعلمها، وإجادتها كما كان الحال في السابق؛ حين كان أبناء العربية يتسابقون إلى تعلمها، بل وتعلُّم العلوم المرتبطة بها، وحفظ متونها؛ فظلّت حيّة يانعة في ألسنة أبنائها، وتورق كل حين بإذن ربها فتعطي ثمرا مختلفا ألوانه، وطعمه، تحوطها العناية، والإجلال،وكثير

منهم كانوا يهاجرون في طلبها، وينقطعون إليها، يقول حافظ(٣٥):

أيهجرني قومي عفا الله عنهم

إلى لغة لم تتصل برواتي

الاستفهام يفيد التقريع، والإنكار، والأسف على أبناء العربية الذين يهجرون لغتهم وعنوان عزّهم جهلا بقيمتها، وأهميتها، وجلالها، ويتهافتون على العامية، أوغيرها من اللغات.

أن أمم الأرض تتقدم فكريا بعنايتها بلغاتها، والتمسّك بها، والتمكين لها في الأرض، والإقبال عليها، وحمايتها مما يفسدها، أمّا الأمة العربية فقد خذلوا لغتهم، وأسقطوا عن أنفسهم عناء التكلُّم وفق قواعدها التي تصونها، وتحقق لها السلامة، وهجروها، وتركوا ارتياد البحث في علومها، والكشف عن كنوزها، يقول مطران(٣٦):

ما ذا يرد من الحقيقة مسقط

تكليفها عن نفسه بتوهم

ما ذا يريد من المعالي نائم

والنجم مزدهر لغير النوّم

الذي يسقط قواعد لغته متوهم جاهل، والذي يدع لغته وأصالتها غافل أومتغافل، ولن يرتقي بفكره، ولن يذوق طعم المعالي، ولن يجد ريحها.

والذين هجروا لغتهم استكبارا وعتوا إنما عقدوا لواء الحرب على الفصحى، ولكنهم في الحقيقة أقزام، لا ترقى بهم هاماتهم، وأذواقهم لتذوق اللغة؛ فهم طغام الناس، أقعدهم العجز عن إدراكها، واستعصى على عقولهم وعلى أحاسيسهم المتبلّدة العقيمة تذوقها؛ فأعرضوا عنها مصدرين ضجيجا يصمّ الآذان؛ فبهروا أمثالهم بآرائهم الفطيرة، الواهية، المزركشة، وخُيل إليهم من سحرهم أنها تسعى، فتبعهم الغاوون، ومن يتّبعون السحرة إن كانوا هم الغالبون، حتى إذا وقع عليهم الحق ـ إن شاء الله ـ عضّوا عليها الأنامل من الغيظ، وانقلبوا خاسرين، يقول الجارم(٣٧):

أزرى ببنت عدنان ثم حاربها

من لا يفرّق بين النبع والغرب

وراح في حملة رعناء طائشة

يصول بالخائبين: الجهل والشغب

هكذا حوربت هذه اللغة من الفئتين الباغيتين؛ فئة الجهلاء ـ من أبناء العربية ـ بعظمة وقدسية لغتهم فأعرضوا عنها استصغارا لشأنها، وفئة مثيري الشغب من الحاقدين عليها، وعلى الأمة العربية، وقد لجّ أصحاب الفئتين في طغيانهم يعمهون.

٥ / وضع اللغة العربية في الوقت الراهن:

إن وضع اللغة العربية في الوقت الراهن يزداد سوءاً؛ فانتهاك حرمتها المتمثل في تجاهل قواعدها، وكثرة الأخطاء النحوية، والصرفية، والإملائية، هي من أشد مظاهر ضعفها، ومن المعاول الهدّامة للغة العربية، وتبدومظاهر هذا الضعف جلية سافرة في لغة الصحافة التي تستعمل اللغة بإهمال، وتروّج من خلالها للتحلل من قوانينها؛ فلغة الصحافة ـ هذه الأيام ـ مرآة تعكس الوضع المزري للغة التي جاءت مسخا مشوّها، يقول حافظ(٣٨):

أرى كل يوم بالجرائد مزلقا

من القبر يدنيني بغير أناة

معظم كتاب الصحف هم من غير المتخصصين في مجال اللغة العربية، وربما لا تكون لهم أدنى إلمام بالقواعد الأولية للغة، وكثير من هذه الصحف لا تخضع للتدقيق اللغوي، فانتشرت الأخطاء اللغوية القاتلة التي باتت سرطانا ينهش في جسم اللغة، ويتفاقم أمره كل حين.

وهذا الوضع المزري يعود أيضا إلى الإهمال؛ فلم تحظ هذه اللغة بالعناية مثلما كان الحال في العصور الزاهرة حين كان اللحن يُعدُّ ضلالا، وحين كانت العرب تسترضع أطفالها في البادية خوفا على ألسنتهم من اللحن والفساد، وحين كانوا يفخرون بأنهم لا يلحنون في جد أوهزل، وحين كانوا لا يولّون المناصب العليا في الدولة إلا لمن توافر فيه ـ ضمن معايير أخرى ـ صفة الفصاحة، وحين كانوا يتواصون بها خيرا ؛ حينها ظلت اللغة مصونة، يعجب الناس حسنها؛ فتهافتت عليها الشعوب وتعلموها، وبرعوا فيها، وصار بعضهم علماء، وأعلاما فيها، أمّا اليوم فهي على ما هي عليه من الضعف، والهوان، يقول حافظ(٣٩):

فياويلكم أبلى وتبلى محاسني

ومنكم وإن عزّ الدواء أساتي

فلا تكلوني للزمان فإنني

أخاف عليكم أن تحين وفاتي

البيتان بمثابة صرخة ـ في واد ذي زرع ـ تعبّر عن الإهمال، والتنكّر، والإعراض عن هذه اللغة التي باتت تخشى على نفسها الاندثار، وعبارة "أخاف عليكم" تبيّن شفقة هذه اللغة على أبنائها؛ فهي لا تخشى على نفسها الموت، ولكنها تخشى عليهم عاقبة موتها.

المبحث الثاني: الدفاع عن اللغة

اللغة العربية أقدر اللغات على الإبانة على الإطلاق، وأقدرها على الإيضاح،

وهذا وصف مطلق لا تحدّه معايير البشر، فقد وصفها الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز بهذه الصفة (بلسان عربي مبين) (٤٠)، وقال: (لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين) (٤١)، والإبانة مفهوم واسع تندرج فيه المصطلحات العلمية، ومسميات المخترعات الحديثة، وآلة الحضارة، وهي لغة قوية بما لها من المقومات، والخصائص.

والضعف الذي ألمَّ بها منشؤه ضعف الاستعمال، وفساد الألسنة، أمّا هي - في الأصل - فليست ضعيفة؛ فهي حيّة ولكن حياة كالعدم حين غُيّبت عن الحياة العامة، وأُقصيت عن ميادين الحياة المعاصرة. ولكن يجب أن نؤكد - غير مبالين - بأنها أقدر اللغات على العطاء؛ فقيمتها لا تقل لمجرد دفنها في التراب، وفي المعاجم اللغوية، ودواوين الشعراء، وكتب الحديث، ونصوص البلغاء كنوز لا تُقدّر بثمن، ولكنها مغتربة في أرضها، مطمورة في سجون كتب التراث، بعد أن عجزت عنها الألسن، وقصُر عنها الإدراك، والعجز والضعف الحقيقيان عند من يتشدّقون بضعفها وعجزها، وقد باتت هذه اللغة كالسيف في كفٍّ جبان، يقول الجارم(٤٢):

أنترك العربي السمح منطقه
إلى دخيل من الألفاظ مغترب
وفي المعاجم كنز لا نفاد له
لمن يميز بين الدرّ و السخب
كم لفظة جهدت مما نكررها
حتى لقد لهثت من شدّة التعب
ولفظة سُجنت في جوف مظلمة
لم تنظر الشمس منها عين مرتقب

وهذه اللغة الحيّة لا يمكن لها أن تموت مهما ضعف سلائق الناطقين، أوجار عليها الجائرون، تكفيها طلٌّ من لسان فصيح، أوفطرة سليمة لتُورق، وتؤتي ثمرا من كل زوج بهيج، وهذا الاستعداد فطرة فيها، يقول الجارم(٤٣):

وسنى بأخبية الصحراء يوقظها
وحي من الشمس أوهمس من الشهب

هذه اللغة أخلدتْ إلى النوم في خبائها الصحراوي - في دلال - ولا يوقظها إلا حرارة الشمس، أوبريق الشهب المتوهجة في علاها؛ فلا يوقظها نهاق أوخوار. وهذه صورة رمزية للغة العربية التي توارت في خبائها كما كانت في عهدها الأول في انتظار شروق شمس أبنائها لتنهض من جديد.

نعم، لغتنا جميلة، وساحرة، ولا مثل لها، زادها الإسلام شرفاً، والقرآن ألقاً، وهي أعظم اللغات الحيّة، وعلي الجارم يتناول هذه الناحية؛ فتأتي الأبيات صورا ناطقة معبّرة عن هذا الجمال الساحر الأخّاذ، يقول(٤٤):

تكلّمتْ سور القرآن مفصحة
فأسكتتْ صخب الأرماح والقُضُب
وقام خير قريش وابن سادتها
يدعوإلى الله في عزم وفي دأب
بمنطق هاشمي الوشي لونُسجت
منه الأسائل لم تنصل ولم تغب
طابت به أنفس الأيام و ابتهجت
ومر دهر ودهر وهي لم تطب
وهزّ الراسيات الشمّ وارتعدت
لهوله الباترات البيض في القرب
وأصبحت بنت عدنان بنفحته
تيها تجرر من أذيالها القشب
فازت بركن شديد غير منصدع
من البيان وحبل غير مضطرب

هذه هي قصة اللغة العربية، ومسيرتها في الإسلام، وهي قصة تحكي الماضي المشرق، وتعكس روعة وجمال هذه اللغة؛ التي جاءت غرسا طيبا لكلام الله تعالى، ومنطق النبي (ص)، وبلغاء العرب من بعده؛ فطابت الدنيا بالبيان الرائق، والمنطق الأخّاذ؛ ففاقت كل الجمال، وكل لمحات الحسن؛ بيان هزّ الراسيات الشمّ، ورقصت لها السيوف البواتر في أغمادها، فازدانت اللغة في مواكب الإبداع، إشراقا، وبيانا، ومشت مختالة تجرر أذيالها في ركاب العزّة والبهاء.

اللغة العربية لغة إعجاز، وتمكين، وليست مجرد أداة للتواصل؛ فمضمار الحضارة اليوم لم تعد قاصرة على فنون بعينها؛ فالباب واسع، وأهل الغرب بعد ان حققوا العزة للغاتهم، ومكّنوا لها، انطلقوا في مضمار الحضارة؛ فأتوا أهلهم بالمعجزات متفننين؛ فإن عزّ على العرب مجاراتهم في ذلك فلديهم معجزة خارقة تبزّ كل معجزة، هي القرآن الكريم، وهي معجزة لغوية؛ فإذا مكّن العرب للعربية، ونشروها بعلومها، ونصوصها لساد الغرآن العالم، ولطغى على كل معجزة يتقعّر بها الغرب، ولقرأ الناس في دراسات الفرآن، وعلومه، وعلوم العربية ما يحملهم - على الأقل - على احترامه، والاعتراف بفضله ، يقول حافظ(٤٥):

أتوا أهلهم بالمعجزات نفننا
فياليتكم تأتون بالكلمات

ويرى خليل مطران أن اللغة حق مكفول لكل أمة، أوقومية تتحدث لغة معينة؛ فهي وسيلة من وسائل التواصل، ولكنها حق، ومجد، ومجمع الحضارة، والتراث، والعلم، والأدب، ويُضاف إلى ذلك عند المسلمين أنها لسان دين، وكتاب

سماوي منزل، وانطلاقا من هذه القاعدة فإن العربية لا تُنكر، ولا تُحجد، ولا تُوصف بالجمود والقصور؛ فاللغة العربية هذه قد سادت، وانتقلت إلينا كاملة فلا سبيل لإنكارها، يقول مطران(٤٦):

للجاهلي لسانه ومن الذي
ينفي من الفصاحة لسان مخضرم

فاللغة العربية قوة لووُظفت في فنونها القولية، يقول (ص): "إن من البيان لسحرا"؛ وتشبيهها بالسحر نشبة لمقدرتها على نقل النفس من الواقع إلى عوالم من الخيال الخصب، وهذه شهادة ممن لا ينطق عن الهوى في بيان أثر هذه اللغة في النفوس؛ فتأمل.

والإسلام قبل أن يُفرض الجهاد اعتمد على بلاغة الكلمة المنظومة في المنافحة عن نفسه، ومهاجمة خصومه؛ فالإسلام نُصر بقوة اللغة قبل قوة السيف، والجيوش الإسلامية التي اقتحمت الحصون، ودكّت معاقل الشرك كانت تحركها الكلمة المنظومة شعرا ونثرا؛ فاليد التي تحمل السيف لا بد لها من عزيمة تشدها، وقلب الجسور في حاجة لما يلهبه ويقويه.

ونذكر أن قريشا منعت الأعشى من الهجرة إلى المدينة ليعلن إسلامه، وما ذاك إلا خوفا من لسانه وشعره، فمعسكر الشرك كان يخشى قوة البلاغة وأثرها، وعليه فإن اللغة العربية قوة لأهله في حوارهم، وفكرهم، وأدبهم، وفي دفاعهم عن أنفسهم، يقول الجارم(٤٧):

وأحضر الشعراء السن قد وقفوا
وللبيان فعال الصارم الذّرب
أبو بصير له نبر لواتخذت
منه السهام لكانت أسهم النوب
إذا رماها كما يختار قافية
دارت مع الفلك الدّوار في قطب

الشعر كالسيف، وكالسهم، ولقوافيه أثر السلاح الفتّاك في نفوس الأعداء، ولذا قال (ص) لعبد الله بن رواحة:"ز الذي نفسي بيده لكلامك أشدّ عليهم من وقع النبل"(٤٨).

المبحث الثالث: الدعوة إلى إحياء اللغة

ظلّ الشعر العربي المعاصر يدعوإلى إحياء اللغة العربية، وبعثها من مرقدها، مناشدا أولي الأمر، مخاطبا العقول الواعية، مثيرا للنخوات، ومستفزّا للعواطف بشتى الوسائل والسُبل.

١ / الدعوة الصريحة:

اللغة العربية صورة وجود الأمة، وترجمان ثمار العقول، ومطيّة التقدّم، وعنوان الماضي المشرق، والشاعر عبد الله عبد الرحمن يعمّق هذه النظرة إلى العربية، وما يمكن أن تحققها للأمة إن تمسّكت بها، وحافظت عليها، وهي دعوة إلى إحيائها، وإعادتها إلى الواجهة لتكون عنوانا لأسمى نهضة وحضارة، يقول(٤٩):

أجل كل قوم فرّطوا في لغاتهم
غدوا وصروف الدهر فيهم تحكم
أرى الغرب يعنى بالغات رجاله
وتمشي إلى أعلامها تتعلم
وهم يكبرون من رجال توفروا
عليها إلى أنّ اكبر الناس منهمو
وفي كل يوم يخرجون مؤلفا
نفيسا وبحثا يتشر الفضل عنهمو
ولا يهجرون للجديد قديمهم
وذلك خلق عن رقي يترجم

إن عاقبة التفريط في اللغات بالإهمال هوالخسران المبين، والضياع الحتمي في ثقافات الآخرين، وما نهض الغرب، وساد إلا بحفاظها على لغاتها التي حفظت لهم هوياتهم، وترجمت أفكارهم، ومواهبهم، وأبحاثهم إلى واقع ملموس يعمّ العالم، وأعظم من يجلّه الغرب، وسائر الأمم المتقدّمة؛هم علماء اللغة، القائمين عليها؛ فتفوّق الغرب على العرب من أسبابه عدم تفريطهم في لغاتهم، فلم يهجروها إلى غيرها بدعوى التجديد، ولم يحتقروها، وأجلّوا علمائها وأكبروهم، ولم يرموهم بالجمود، ودونوا بها مؤلفاتهم، ونتائج أبحاثهم. والشاعر هنا يدعوقومه إلى التمسُّك بلغتهم الكريمة، وأن يسلكوا بها سبيل الغرب، ويصنعوا صنيعهم؛ فذلكم الرباط، وما ينبغي أن يكونوا عليه.

والشاعر حافظ إبراهيم يناشد كل الأدباء، والمثقفين، وأصحاب الأمر ـ على لسان اللغة العربية ـ بلإحياء اللغة العربية، وفرضها على شعوب الأمة العربية؛ لتعود كما كانت في السابق، يقول(٥٠):

إلى معشر الكتّاب والجمع حافل
بسطت وجائي بعد بسط شكاتي
فأمّا حياة تبعث الحياة من البلى
وتنبت في تلك الرموس وفاتي
وإمّا ممات لا قيامة بعده
ممات لعمري لم تتصل بمماتي

وتسابق كثير من الشعراء الكرام إلى الدعوة إلى إحياء هذه اللغة، وبعثها من جديد لتقود مسيرة الفكر والعلوم، والشاعر خليل مطؤان يدعوإلى ذلك في أسلوب بليغ فيقول(٥١):

لن ترجع العربية الفصحى إلى
ما كان منها في الزمان الأقدم

ما لم يعد ذاك الزمان وأهله
والعاد والأخلاق حتى جرهم

عودة اللغة العربية إلى سابق عهدها من القوة، والإبانة، والسحر مرهون بعودة مناهج السابقين الأولين من العرب ـ وليس عودة السابقين أنفسهم ـ ومناهج السابقين تتمثل في المحافظة عليها، وعلى سلامتها من مجرد اللحن ناهيك عن الانحراف في استعمالها. وتتمثل كذلك في أخلاقهم التي منها العناية بسلامة المنطق التي كانت من مكملات الشخصية، وعنوان المهابة، والوقار، بل إن منهم من شاب رأسه خوفا من اللحن(٥٢).ولن تعود هذه اللغة إلى سابق عهدها إلا إذا أحيينا سنن أسلافنا في الحفاظ عليها، وقمنا بتطويع مناهجهم للارتقاء بها إلى آفاق رحيبة.

وهذا مجال واسع؛ فلإحياء اللغة العربية مظاهر شتى، وطرق متعددة، ولكن لن تؤتي ثمارها إلا باتباع المناهج العلمية المناسبة، وبتأدية الدول، والمجامع اللغوية، وروّاد النهضة دورهم.

ويرى مطران أن اللغات الخالدة في حاجة إلى تجديد دائم لتظلّ حيّة، تنفح العالم بما يريد، ولكن الإحياء والتجديد لا يكونان عبثا، أوتمنيا؛ بل هما في حاجة إلى الإرادة الصلبة، والأقدام التي لا تتضعضع؛ فأمر العربية بات عظيما، والأخطار المحدقة بها تزداد مع الزمن، يقول(٥٣):

إن التجدد للسان حياته
ومن الذي يحييه غير المقدم

ويتفاءل مطران بقيام اللغة بعد عثرتها؛ فكل وسائل إحيائها متاحة في هذا العصر الذي تقدمت فيه معينات التحديث تقدّما عظيما، ويرى أنه عصر اللغة العربية، وسيحقق الناشطون في أمره نجاحا كبيرا، يقول(٥٤):

في عصرنا للضاد فتح باهر
زيدت به فخرا فهل من مأثم
مَنْ فرّق الأخوين يستبقان من
طرق لرفعتها أليس بمجرم

وتتجلّى نهضة اللغة العربية في نظم البلغاء، والشعراء؛ فهم عباقرة الكلمة الفصيحة، والتعابير الرصينة، وأثرهم عميق في خلق التفاعل مع اللغة، ودورهم عظيم في نشر اللغة الفصحى وحفظها؛ فالفرزدق، وذوالرمة، ورؤبة، والعجّاج؛ تعدّ دواوينهم الشعرية أوعية للغة العربية، وغيرهم كثُر، وعلي الجارم يعوّل على الشعراء الفصحاء في إحياء اللغة، وتحبيبها إلى الناس، ولذا يبتدرهم في دعوته إلى إحياء اللغة العربية، ويناشدهم بامتداحها، وبيان أهميتها، وجمال سحرها، يقول(٥٥):

ماذا طحا بك يا صناجة الأدب
هلا شدوت بأمداح ابنة العرب
أطار نومك أحداث وجمت لها
فبتّ تنفخ بين الهمّ والوصب
واليعربية أندى ما بعثت به
شجوا من الحزن أوشدوا من الطرب
روح من الله أحيت كل نازعة
من البيان وأتت كل مطّلب
أزهى من الأمل البسّام موقعها
وجرس ألفاظها أحلى من الضرب

"صنّاجة الأدب" كناية عن الأعشى ـ ميمون بن قيس ـ سُمي بذلك لحسن رنين شعره، ولموهبته الكبيرة في توظيف لغة الشعر، وقد رمز به إلى سائر شعراء العربية المجيدين؛ يستنهضهم لإحياء العربية في نماذج من الشعر العربي الرصين، فتحيا البيان العربي الذرب الذي يخلب الألباب، وتعيد للعربية مجدها الغابر.

وقد انطلقت الأشعار في عصرنا الراهن تدوي بضرورة إحياء هذه اللغة العظيمة، وأن يقوم المستنيرون، وذووالاختصاص، والحادبون عليها بدورهم في حركة بعث اللغة، يقول الجارم(٥٦):

يا عصبة الخير للفصحى وشيعتها
حيّاك صوب الحيا يا خيرة العُصَب
هلمّ فالأوقات أنفاس لها أمد
ولا أقول بأنّ الوقت من ذهب

هذه دعوة صريحة بالتعجيل برسم خطّة لإعادة إحياء اللغة دون توان، أوتراخ، ضمن مشروع قومي كبير يستهدف تحقيق الريادة، والسيادة للغة القرآن الكريم، والحديث النبوي، وتراث الأمة.

٢ / بيان الماضي المشرق:

هومن وسائل استنهاض الهمم، وشحذها لأجل إحياء اللغة؛ فهذه اللغة التي أُهملت وانتهكت؛ كانت لغة قوم ما عاشوا إلا لها، ولا علم لهم أصح منها، وعلى الرغم من أنهم تكلموها فطرة وسليقة إلا أن أحساسهم بعظمتها كان حاضرا في كل حين؛ فهي لغة مرنة، استجابت لكل حاجات الإنسان العربي في صحرائه الواسعة، وفضائه الفسيح؛ فتكلم بها مفصحا، ومعبّرا، ومغنّيا؛ فأحال سبسب الحياة إلى جنّة وارفة الظلال، وما أن خرجت من أطراف جزيرتها حتى تهافت عليها شعوب الأرض يرتوون من فيضه العميم، ويقول الجارم(٥٧):

جزيرة أجدبت في كل ناحية
وأخصبت في نواحي الخلق و الأدب

جدب به تنبت الأحلام زاكية

إنّ الحجارة قد تنشق عن ذهب

تود كل رياض الأرض لومنحت

أزهارها قبلة من خدّها الترب

و ترتجي الغيد لوكانت لآلئها

نظما من الشعر أو نثرا من الخطب

هذه هي الصورة الحقيقة، والمثالية للغة العربية، والتي يجب أن تعرفها الأجيال، فيمنحونها العناية، والحب، وينكبّون بحثها، ودراستها؛ فيخرجونها للعام في ثوبها القشيب، باعتبارها لغة صالحة لكل عصر، تتجلّى فيها خصائص العالمية.

والحنين إلى العهود الزاهرة للغة العربية بقدر ما تعبّر عن حالة من الحزن الحائر لما حاق بحاضرها من التعسُّف، والإهمال، بقدر ما تدعوإلى استنهاض الهمم باستحضار تلك الصور المشرقة، واستدعائها من الماضي السحيق، يقول الجارم(٥٨):

يا جيرة الحرم المزهوساكنه

سقى العهود الخوالي كل منسكب

أشهد الخلق للشورى قد اجتمعوا

ولست أسمع من لغوولا صخب

من كل كمتهل بالبرد مشتمل

للقول مرتجل للهجر مجتنب

"جيرة الحرم" كناية عن قريش، وسائر من جاورهم من العرب، يستسقي لهم الغمام؛ يسقي بها عهودهم الزاهية بالفصاحة والبيان؛ حين كانوا يتخاطبون بالبلاغة مرتجلين الكلام بداهة وسليقة، لا يعرفون اللفظ الساقط، ولا العامي، ولا تجد إلى ألسنتهم سبيلا، يبدعون القول محافظين على سلامة وجمال منطقهم.

والشعراء حين يستعرضون دور السلف في الحفاظ على اللغة يهدفون إلى بيان الفارق الشاسع بين ماضيها المشرق، وحاضرها القاتم بغرض إيقاظ النفوس النائمة لإحياء العربية، وإنقاذها من براثن الفوضى، بعد أن ترك السلف من بعدهم خلف أضاعوا لغتهم يرثون هذه الأدنى، يقول حافظ(٥٩):

سقى الله في بطن الجزيرة أعظما

يعزّ عليها أن تلين قناتي

حفظن زدادي في البلى وحفظته

لهن بقلب دائم الحسرات

فاخرت أهل الشرق والغرب مطرق

حياء بتلك الأعظم النخرات

الشاعر يطلب السقيا للأعظم النخرة؛ وهم العرب الذين عاشوا في غابر الزمان، وأدّوا واجبهم تجاه لغتهم؛ فحفظوا ذمامها وحرمتها، وقدسيتها. واللغة لم يبق لها اليوم من المجد سوى ذكريات الماضي المشرق لأولئك الذين ترقد عظامهم البالية تحت ثرى الجزيرة. والهدف من الأبيات السابقة تنبيه العرب الباقية إلى دورهم تجاه لغتهم، فعليهم مواصلة ما بدأه أسلافهم في رفعة لغتهم، والحفاظ عليها.

٣/ أثر اللغة في تعزيز الهوية والوحدة القومية:

اللغة العربية مظهر من مظاهر الوحدة، والانتماء، ورابط من أقوى الروابط بين الأشقاء العرب؛ فاللغة رحم بين أهله، وصدق الشاعر محمد هاشم عبد الدائم حين قال:

وكل من نطق الفصحى لكم رحم

فوحدة العرب درع المجد يحميه

اللغة يجب أن ألا ننظر إليها باعتبارها مفردات وجمل فسب، بل يجب أن ننظر إليها كوشيجة من أقوى وشائج القربى والأخوة، تحقق الوحدة، يقول الجارم(٦٠):

يا جيرة الحرم المزهوساكنه

سقى العهود الخوالي كل منسكب

لي بينكم صلة عزّت أواصرها

لأنها صلة القرآن و النسب

وهوالانتساب إلى هذه اللغة الكريمة التي تحل محل الدم، والعنصر، ويكفي المرء شرف الانتساب إليها، والتحدث بها. والشاعر عبد الله عبد الرحمن يشير إلى دور اللغة في تدعيم أواصر الوحدة العربية الإسلامية، يقول(٦١):

تجمعنا الفصحى ودين نقيمه

ولا فصل نخشاه له الله واصله

لقد ارتبطت الشعوب العربيةة برابطة الدين واللغة، وهي من أمتن الوابط الروحية، وهذا يحتّم علينا الحفاظ عليها، وعلى اللغة خاصة، وفي التفريط فيها فصم لعرى الوحدة، ومدخل للتفرُّق والتدابر؛ فإحياء اللغة فيها مرام بعيدة منها تدعيم الوحدة العربية، وتقويةٌ أواصر القربى بين شعوبها، يقول عبد الله عبدالرحمن(٦٢):

تجمعنا الفصحى وتربط بيننا

أصول هي الإسلام تأبى التقاطعا

ويقول حافظ(٦٣):

أرى لرجال الغرب عزّة ومنعة

وكم عزّ أقوام بعزّ لغات

أن عزّ الأمم القوية ومنعتها، وقوة وحدتها ليست نابعة عن قوة السلاح، والتكنلوجيا فحسب؛ بل نابعة كذلك من قوة لغاتها؛ حين اعتدّوا بها، وعملوا على نشرها، وفرضها على الآخرين؛ فسادت وشاعت، ومنها اكتسبت شعوبها القوة،

والمنعة، وأحرزت قصب الريادة.

الخاتمة

استطاع الشعر العربي المعاصر أن يطرح، ويناقش القضايا، والأزمات التي تعانيها اللغة العربية، والتي أفضت إلى ضعفها، وانحسارها، ومن تلك الأزمات: انتشار اللهجات العامية على حساب الفصحى، ورمي اللغة بالجمود والعقم، وعدم مقدرتها على مواكبة العصر، وتلبية حاجاته، وإعراض أبنائها عن تعلمها، وعن العناية بها، وهجرانها إلى لغات أخرى، بل وتفضيلها على العربية، وتمسُّك البعض باللهجات العامية بديلةً عن اللغة الفصيحة.

ومن تلك الأزمات: الدعوات التي نادى بها إعداء العروبة، وهي؛ كتابة اللغة العربية بالأحرف اللاتينية، واستعمال اللغة الوسطى، وإحلال العاميات محل الفصيحة بزعم أن الفصيحة مقيّدة، تكبت الحرية، وتقتل الإبداع، وتحدّ من مقدرة الفكر على الانطلاق.

وقد دافع الشعر عن اللغة، وبيّن فضلها، وحيوينها، ومرونتها، وقدرتها على المواكبة والعطاء، وتفوقها على العاميات، وسائر اللهجات المحلية واللغات الهجينة، هي لا تُقاس بها البتة.

ودعا الشعر إلى إلى أحياء اللغة وبعثها، ورأى فيها عنوان الهوية، ورمز الوحدة، ولسان الحضارة، والإرث الأنساني الأصيل.

وعليه فقد أفلح الشعر العربي المعاصر في عرض قضية إضعاف اللغة العربية عرضا واضحا، وأحسن مناقشتها بكل أبعادها، وتعقيداتها في نصوص رصينة من الشعر تعكس هي الأخرى عظمة هذه اللغة، وجمالها.

الهوامش

١/ فقه اللغة، علي عبد الواحد وافي، دار النهضة، القاهرة – مصر، (ط٧)، سنة ١٩٧٢م، ص:١٥٣، وما بعدها.

٢/ اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة – مصر، (ط٤)، سنة ١٧٧٣م، ص:١٢٥.

٣/ نحوعربية ميسّرة، أنيس فريحة، دار الثقافة، بيروت – لبنان، سنة ١٩٧٣م، ص:١٢٢.

٤/ تاريخ اللغة العربية في مصر، أحمد مختار، الهيئة المصرية للطباعة، القاهرة – مصر، سنة ١٩٧٠م، ص: ٢٠.

٥/ الفصحى لغة القرآن، أنور المجدي، دار الكتاب اللبناني، بيروت – لبنان، سنة ١٩٨٢م، ص:١٨٨.

٦/ نحولغة عربية سليمة، حاتم صالح الضامن، دار الشروق، دمشق – سوريا، سنة ٢٠٠٦م، ص:٣٢.

٧/ الفصحى لغة القرآن، ص: ١٨٥.

٨/ تاريخ الدعوات إلى العامية وآثارها في مصر، نفوسة زكريا، دار الثقافة، الإسكندرية – مصر، سنة ١٩٥٦م، ص:٢٠٨.وانظر:من حاضر اللغة العربية سعيد الأفغاني، دار الفكر، دمشق – سوريا، (ط٢)،سنة ١٩٧١م، ص:٩٠.

٩/ الفصحى لغة القرآن، ص:١٨٧.

١٠/ العربية الفصحى، عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، (ط١)، سنة ١٩٦١م، ص:٩٧.

١١/ الفصحى لغة القرآن، ص: ١٩٣.

١٢/ العربية، دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، يوهان فك، ترجمة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة – مصر، سنة ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م، ص: ٢٣١، وما بعدها.

١٣/ الفصحى لغة القرآن، ص:٢٠٣.

١٤/ الفصحى لغة القرآن، ص: ٢٠٥.

١٥/ الفصحى لغة القرآن، ص: ٩، وما بعدها.

١٦/ مشكلات اللغة العربية المعاصرة، مجدي البرازي، مكتبة الرسالة، عمان – الأردن، سنة ١٩٨٩م، ص: ٥٥.

١٧/ مشكلات اللغة العربية، محمود تيمور، مكتبة الآداب، القاهرة – مصر، سنة ١٩٥٦م، ص:١٩٧.

١٨/ من حاضر اللغة والعربية، ص: ١٦٠.

١٩/ ديوان حافظ، حافظ إبراهيم، ضبطه وصححه: أحمد أمين، وإبراهيم الأبياري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (ط٢)، سنة ١٩٨٧م، ص:٢٥٣.

٢٠/ ديوان حافظ، ص: ٢٥٣.

٢١/ ديوان حافظ، ص: ٢٥٣.

٢٢/ بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، السيد محمود شكري الألوسي، شرح: محمد بهجة الأثري، (ط١)، سنة ١٣١٤ هـ، ج١/ص:٤٠.

٢٣/ تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة – مصر، (ط١٢)، بدون تاريخ، ص: ١٦٩ وما بعدها.

٢٤/ ديوان حافظ، ص: ٢٥٤.

٢٥/ ديوان علي الجارم، علي الجارم، دار كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة – مصر، بدون تاريخ، ص:٣٩٦.

٢٦/ بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ج١/ص:٤٤.

٢٧/ ديوان الفجر الصادق، عبد الله عبد الرحمن الأمين، دار البلد للطباعة والنشر، الخرطوم – السودان، (ط١)، سنة ١٩٩٩م، ص: ٨٩.

٢٨/ ديوان الفجر الصادق، ص: ٨٩.

٢٩/ ديوان حافظ، ص: ٢٥٤.

٣٠/ تاريخ الدعوات إلى العامية وآثارها في مصر، ص: ١٧٩.

٣١/ ديوان حافظ، ص: ٢٥٥.

٣٢/ ديوان علي الجارم، ص: ٣٩٥.

٣٣/ ديوان المتنبّي، أبوالطيب المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ص: ٤٨٣.

٣٤/ ديوان حافظ، ص: ٢٥٤.

٣٥/ ديوان حافظ، ص: ٢٥٤.

٣٦/ ديوان الخليل، خليل مطران، دار الهلال، القاهرة – مصر، سنة ١٩٤٩م، ج٣/ص: ٣١.

٣٧/ ديوان علي الجارم، ص: ٣٩٦.

٣٨/ ديوان حافظ، ص: ٢٥٤.

٣٩/ ديوان حافظ، ص: ٢٥٤.

٤٠/ سورة الشعراء، الآية: ١٩٥.

٤١/ سورة النحل، الآية: ١٠٣.

٤٢/ ديوان علي الجارم، ص: ٣٩٦.

٤٣/ ديوان علي الجارم، ص: ٣٩٣.

٤٤/ ديوان علي الجارم، ص: ٣٩٥.

٤٥/ ديوان حافظ، ص: ٢٥٤.

٤٦/ ديوان الخليل، ج٣/ص:٣١.

٤٧/ ديوان علي الجارم، ص: ٣٩٥.

٤٨/ سنن النسائي، أبوداود سليمان بن الأشعث، ضبطه: محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، سنة ٢٠٠٩م / كتاب مناسك الحج – استقبال الحج، حديث رقم:٢٨٩٣.

٤٩/ ديوان الفجر الصادق، ص: ٦.

٥٠/ ديوان حافظ، ص: ٢٥٥.

٥١/ ديوان الخليل، ج٣/ص:٣١.

٥٢/ المجالسة وجواهر العلم، أحمد بن مروان الدينوري، تحقيق: مشهور بن حسن، دار بن حزم، (ط١)، سنة ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، حديث رقم: ٢٥٧٠.

٥٣/ ديوان الخليل، ج٣/ص:٣١.

٥٤/ ديوان الخليل، ج٣/ص:٣١.

٥٥/ ديوان علي الجارم، ص: ٣٩٣.

٥٦/ ديوان علي الجارم، ص: ٣٩٦.

٥٧/ ديوان علي الجارم، ص: ٣٩٤.

٥٨/ ديوان علي الجارم، ص: ٣٩٤.

٥٩/ ديوان حافظ، ص: ٢٥٤.

٦٠/ ديوان علي الجارم، ص: ٣٩٤.

٦١/ ديوان الفجر الصادق، ص: ٧٣.

٦٢/ ديوان الفجر الصادق، ص:١٠٢.

٦٣/ ديوان حافظ، ص: ٢٥٤.

المصادر والمراجع

× القرآن الكريم.

١/ بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، السيد محمود شكري الألوسي، شرح: محمد بهجة الأثري، (ط١)، سنة ١٣١٤ هـ.

٢/ تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، شوقي ضيف، دار المعارف،القاهرة – مصر، (ط١٢)، بدون تاريخ.

٣/ تاريخ الدعوات إلى العامية وآثارها في مصر، نفوسة زكريا، دار الثقافة، الإسكندرية – مصر، سنة ١٩٥٦م.

٤/ تاريخ اللغة العربية في مصر، أحمد مختار، الهيئة المصرية للطباعة، القاهرة – مصر، سنة ١٩٧٠م.

٥/ ديوان حافظ، حافظ إبراهيم، ضبطه وصححه: أحمد أمين، وإبراهيم الأبياري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (ط٣)، سنة ١٩٨٧م.

٦/ ديوان الخليل، خليل مطران، دار الهلال، القاهرة – مصر، سنة ١٩٤٩م.

٧/ ديوان علي الجارم، علي الجارم، دار كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة – مصر، بدون تاريخ.

٨/ ديوان الفجر الصادق، عبد الله عبد الرحمن الأمين، دار البلد للطباعة والنشر، الخرطوم – السودان، (ط١)، سنة ١٩٩٩م.

٩/ ديوان المتنبّي، أبوالطيب المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، سنة ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

١٠/ سنن النسائي، أبوداود سليمان بن الأشعث، ضبطه: محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، سنة ٢٠٠٩م.

١١/ العربية، دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، يوهان فك، ترجمة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة – مصر، سنة ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م.

١٢/ العربية الفصحى، عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، (ط١)، سنة ١٩٦١م.

١٣/ الفصحى لغة القرآن، أنور المجدي، دار الكتاب اللبناني، بيروت – لبنان، سنة ١٩٨٢م.

١٤/ فقه اللغة، علي عبد الواحد وافي، دار النهضة، القاهرة – مصر، (ط٧)، سنة ١٩٧٢م.

١٥/ اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة – مصر، (ط٤)، سنة ١٧٧٣م.

١٦/ المجالسة وجواهر العلم، أحمد بن مروان الدينوري، تحقيق: مشهور بن حسن، دار بن حزم، (ط١)، سنة ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

١٧/ مشكلات اللغة العربية، محمود تيمور، مكتبة الآداب، القاهرة – مصر، سنة ١٩٥٦م.

١٨/ مشكلات اللغة العربية المعاصرة، مجدي البرازي، مكتبة الرسالة، عمان – الأردن، سنة ١٩٨٩م.

١٩/ من حاضر اللغة العربية سعيد الأفغاني، دار الفكر، دمشق – سوريا، (ط٢)،سنة ١٩٧١م.

٢٠/ نحوعربية ميسّرة، أنيس فريحة، دار الثقافة، بيروت – لبنان، سنة ١٩٧٣م.

٢١/ نحولغة عربية سليمة، حاتم صالح الضامن، دار الشروق، دمشق – سوريا، سنة ٢٠٠٦م.